



عاصِفةٌ على العقاد !..

بقلم الحسائي حسن عبد الله

« قيم الآباء ولم تكن يا حق إلا أصدقاءك »

(من شعر العقاد)

الى أكثر من بضعة كتب وقد يكتفيه بضع صفحات كي يجد في نفسه هذا الشعور . فإذا أوغل واطاف الى علمه بالكتب علمه بحياة كاتبها أصبح الشعور يقينا لا يتزعزع . ذلك أن القارئ يعرف في صفحات تلك الكتب وفي صفحات تلك الحياة رجلا يثار على الحق ، يفرح اذا أهل ويفضب اذا احتجب ، ويحاوره كأنما يحاور رفيقا يالغه . أياكون هذا الفضب وذلك الفرح وتلك الفيرة باطلا؟! كلا . ولقد شاه منطقي يزعم هذا .

ستقول : وما هو الحق ؟ أليس هو الكلمة التي يزعمها لنفسه كل فرد وكل فريق وكل جيل وكل أمة حتى أصبحت مجرد سوط في يد الضارب وزفرة في فم المصروب ؟ بلى : قد يكون الامر كذلك ، ولكنه اعراض يؤكد ولا ينفي ، فما وجد الحق ليعرفه جميع الناس بلا نزاع . ونزاع الناس متنوع الأسباب ، أفله في سبيل الحق وأغلبه شيسره حزازات وأهواء وصفائر لا هم لها الا النصر وان سرغ ألف حق في التراب . هناك حق وهناك باطل . هذه حقيقة بمنزلة البديهيات ، والا كان الوجود كله عيبا .

على أن معرفة الحق لا تعني عدم الخطأ أو نفي احتماله ، فالعقاد رجل كسائر الناس يخطئ ويصيب . نعم يخطئ ويصيب ، ولكن هناك شيئا اخر قبل الخطأ والصواب هو ما نعتيه بمعرفة الحق - والخطأ جائزة حتى على الانبياء - هناك تلك الحقيقة المتغلغلة في طوايا النفس بأن في الوجود حقا يسمى اليه ويكشف عنه في حمية وإخلاص . ونصيب العقاد من هذا الإيمان عظيم يفرض نفسه فرضا على الشعور . ومتى قر في وجدان القارئ هذا الشعور بأنه يبسن يدي كاتب يضنيه أن يعرف الحق ويقدمه الى الناس امن أن يصيبه

العقاد رجل الحق . عرفه وأخلص له ، وأوتي قدرة هائلة على اللود عنه .

كلمة نقولها ابتداء لان الابتداء بها والانتهاؤ بسيان ، بل هي ألزم أن تصدر هذا البحث وكل بحث في العقاد يتوخى الوصول الى نتائج سليمة . وهي كلمة الشعور فيها أكثر من المنطق ، فانت ترى أننا لم نصل اليها باعمال الفكر في الفروض والبراهين ولكننا قدمناها بين يدي البحث كما يقدم رجل المنطق في استدلاله البديهيات والمسلمات ليخلص منها الى نتائج يتفق عليها الناس . انقول اذن أن الشعور أداة من أدوات البحث وأن ما يخلص اليه صانع أن يكون من مقدمانه ؟ نعم ، ولم لا ؟ أيفكن أن يتجرد الباحث من شعوره ؟ الجواب قطعا بالنفي . وهل من الخير أن استنطاق أن يفعل ؟ الجواب بالنفي أيضا ، فليس من الخير اذا بلغ الشعور بنا الحقيقة أن نعطله ، ومن موضوعات البحث ما يضل المنطق في شعابه بغير دليل من الشعور - أو يطول به التجواب قبل بلوغ الفاية ، ومن الخير اذن أن يكون لنا عاصم من الضلال يدلنا على الطريق أو يريحنا من بعض العناء . نعم ربما يخدع الشعور ، ولكن ربما يخدع المنطق أيضا ، وربما يخدعان معا . وليس ذلك دليلا على عدم صلاحهما والا بطل جهد الإنسان من أجل المعرفة . انما ياتيهم العيب من الإنسان ، فليس الشعور واحدا عند كل الناس وليس المنطق واحدا كذلك ، ويأتيهما العيب من خفاء بعض الجوانب في الواقع المختبر فقد يبقى جزء منه مجهولا لا يتم الصواب ولا ينتفي الخطأ الا بكشفه .

ولكن كيف نشأ هذا الشعور أو ينشأ بأن العقاد رجل الحق ؟ اعتقد أن قارئ العقاد - أن برئت نفسه من الهوى - ليس بحاجة

بالبلبة أصحاب الاهواء وما أكثرهم بين خصوم العقاد ، وضمن بوقته أن يضع في اختبار دعاوى باطلة .

رجل الحق . وشاهدنا الاول اعجابه دائما بالاريجية ورجالها وانحائه دائما على النعفة ورجالها . وليس عينا اعجاب المرء وازاؤه لان المعجب انما يجد نفسه أو بعضا من نفسه فيمن يعجب به . فالعقاد اذن أحد أولئك الرجال الذين تحدث عنهم كثيرا ، رجال المبدأ والرأي والعقيدة ، أو رجال الخلق الذين يحكم سلوكهم وازع . ولا يتصور أن يكون هذا الطراز من الناس متجرا برأيه سائرا في ركاب الفساد ابتغاء الكسب . وهو في فكره وسلوكه رجل واحد لا يتصور منه أن يخرج على القيم الفكرية التي اعتر بها أو القيم الخلقية التي اعتر بها . سمعت أحدهم ذات يوم يقول انه رأى العقاد ينحني أمام محمد محمود ((باشا)) حتى كاد يطأ بجهته الأرض . قلت له : لعلك تريد أن تتألم في وصف الاحترام . قال ((لقد رأيته بعيني رأسي)) . وكان الرجل ذا حجرة توهم نبراتها بالصدق ، والنبرة من أول الأشياء على طوية الانسان ، ولكن قد يتعجب بعض الكذابين المطبوعين - ان صح أن يطبع انسان على الكذب - في تطويها لقول الزور . قلت : ولتكن تعلم أن العقاد تصدى للبasha وهو رئيس وزارة ينهدد الناس بيد ((من حديد)) فسخر منه وهاجم سلطانه وجبروته ، فهل يستقيم في المنطق أن محاربا من هذا الطراز ينحني تلك الانحناءة ؟ فما زاد على أن كرر كلمته : رأيته بعيني رأسي . قلت : وأنا لا أصدق ما رأيته بعيني رأسك . ومضى زمن على هذا الحديث وأنا مطمئن الى كذب هذه الشهادة حتى قابلت الاستاذ محمود حسن اسماعيل وكان من المتصلين زمنا بمحمد محمود ففانحنه في نوع العلاقة بين الباشا والعقاد فقال ان محمد محمود كان يكن للعقاد اجلالا عظيما وكان بينهما احترام متبادل ليس من مظاهره الانحناء .

وشاهد ثاب نستنتج من أقوال الناقدين المنهجين . ذلك أن القارئ ينظر فيها فلا يجد رأيا جديرا بالمناقشة ، انما هسي بضعة اتهامات لا تثبت لحظة أمام ضوء المنطق . ولنضرب مثلا : نشرت مؤسسة فرانكلين كتابا للعقاد وكتب العقاد في مجلة شركة البترول السعودية فالعقاد اذن عميل اميركاني ! ما معنى هذه الكلمة ؟ معناها اننا أمام رجل باع جهده لدولة اجنبية سواء كان راغبا في التمكين لها أو كان لا يعنيه من عمله غير قبض الاجر . معناها أن هذا الرجل يعنيه أمر المال أو خير الدولة الأجنبية قبل أن يعنيه أمر وطنه ومعناها أن العقاد في هجومه المدمر على الشيوعية - وهذا ما ينبغي أن يفهمه القارئ من وراء السطور - لم يكن صاحب رأي مخلص لرأيه بل كان أجيرا يقول بمقدار ما يقبض . واذن نحن أمام رجل تهبط مكاتبه الخلقية هبوطا شديدا . فما مقدار الصواب في هذا المعنى ان كان فيه صواب قط ؟ ان كل الاجهزة الثقافية التي تديرها اموال اميركية أو تشترك في ادارتها في بلادنا أو في غير بلادنا تهدف الى نشر قيم الثقافة الغربية والتمكين لها في نفوس الناس . هذا شيء معروف لا خفاء فيه . وهي اذ تحاول تحقيق هذا الغرض تخدم الثقافة الانسانية على وجه العموم وتسهم في تثقيف المواطن العربي . وهذا شيء لا ينكر . وهذه الاجهزة الثقافية على نعمها للقارئ العربي وسيلة هامة من وسائل الدعاية الاميركية لان احترام المواطن العربي لقيم هذه الثقافة ربما كان له اثر في مضممار السياسة في بعض الاحيان . وهذا النوع من الدعاية شائع بين الدول تتقبله حكومات كثيرة لانها لا ترى غضاضة في النشاط الثقافي . اما نتيجته في مضممار السياسة فهي لا تجد لها كبير خطر لان السياسة في كل دولة تخضع لاعتبارات كبرى ، وهي في ايدي رجال مفروض فيهم انهم انما الامة . وحكومتنا تأخذ بهذا المنطق فهي تعلم ان مؤسسة فرانكلين والجامعة الاميركية والمعونة الاميركية وكل ما لحقته هذه الصفة من قريب أو بعيد هو دعاية اميركية ، ولا تجد في هذا مطعنا لانها - كاي حكومة اخرى - لا تتردد في محاربة أي وسيلة من وسائل الدعاية يتحول الغرض منها من اقامة نفوذ ثقافي الى

اقامة نفوذ حكومي . وهكذا نرفض المعونة الاميركية ونرسل انتقادنا لامريكا يحمله الاثير حتى يخترق البيت الابيض ، ولكننا لا نفلق ابواب الجامعة الاميركية ، وقد نرفض الجامعة ايضا اذا حدث عن غايتها . فالذين يأخذون على العقاد تعاونه مع فرانكلين أو كتابته فسي ((قافلة الزيت)) انما يأخذون عليه امرا ترصاه الدولة وتسمح به . ولا تشرب على العقاد ولا تشرب على الدولة ما دامت عقيدتنا بخير وما دامت بلادنا بخير . ان حكومتنا لم تسمح لقلم الدعاية الاميركية بمزاولة نشاطه في البلاد لكي يقطعها الناس او لكي تعم ابناء مصر بضعف الوطنية أو ضعف الاخلاق ، بل سمحت له وهي عالمة بما ينطوي عليه من نفع غير هيابة لما يهابه من نصبوا انفسهم اوصياء على الامة ، يريدون لها ولا يريد لها احد غيرهم ، ويفارون عليها كأنما عقها كل بنيتها الاهم . ومع هذا لا يجد هؤلاء الفيورون المخلصون الاخلاقيون غضاضة في بيع جهدهم للدعاية السوفياتية ، وكان الحق - لو كان هناك حق - أن يدينوا انفسهم بمنطقهم هم قبل ان يدينوا غيرهم . على ان الدعاية ربما تفيد من الكتاب ولا صلة له بها من قريب أو بعيد . فاذا كانت امريكا تهدف بدعايتها الى محاربة الماركسية فهل نعتبر كل كاتب مناهض للماركسية خادما لامريكا ، وهل يأتي علينا حين من الدهر نعتبر فيه طبع القرآن مثلا عملا من اعمال الدعاية الاميركية ؟

هذا مثل من النقد او مثل من التشويش لم نغنده طمعا في الاقتناع لان اصحابه - وتهافته ظاهر قريب - قد اذاعوه وهم عالمون بتهافته . ولا رجاء اذن في المناقشة ، انما الرجاء ان يفهم القارئ هذه ((الحالة)) وهي في كلمات معدودات ، انكار فضل ذوي الفضل ، وتحقير العظيمة اطفاء ل نار نجسة يدعونها ((الحقد الثوري)) تأكل قلوب الصغار ولا يهدأ لها اوار الا بتبريق كل كرامة وتحين كل فرصة تسنح لسزج ذوي الاقدار مع الجرمين ، ولا جريمة لهم غير الامتياز ورفعتهم فوق الصغار الاف الدرجات . اننا اذا لم نعرف لذي الحق حقه فلتك علامة الانحلال ، وآفة في الخلق ما اصابنا فوما وكان لهم شأن ، وهي آفة مكمنا فسي النفوس قديم لان النفس قديم في الانسان . شر ما تواجه به امرا ان تذكره بتقصه ولو هان ، واروح ما تواجه به ان تذكر له نقص الاخرين لانه يجد فيه عزاء لا يجده في ذكر الرفعة والملاء . ومن هنا يفتتح للنفاق وتلمق الجماهير باب خالد لا يلجأ الا ذوو النفوس الضعيفة . فليس بالحسن اذن ان نجل الى اتهام الناس بغير تحرج ، ولكن هذه الخلة الذميمة شاعت بيننا ووجدت رفاقها بين اصحاب الاقلام وجماهير القراء . العقاد انجليزي ، العقاد اميركاني ، العقاد سعودي ، العقاد ملكي .. ، لم يبق الا ان يكون اسرائيليا ايضا ! ثم يقرأ الجيل المسكين هذه التخريصات فيجد لها في قرارة نفسه استجابة مرجعها الى الداء القديم . نعم العقاد ماجور : وساق على ساق ، ومكابرة فسي العينين واستخفاف في الكتفين . ولم لا يكون العقاد ماجورا ؟ أمن العقول ان ينهب بكل هذا المجد ونبقي نحن جوفاء تافهين ! كلا ، لا بد ان تلحقه وصمة تنزل به من عليانة ليكون معنا في الحضيض . وهكذا تبرد نار الحسد ، وتستشرق الآفة حتى تترك فريستها ولا همة ولا طموح .

أهنا هو الجيل الذي نريده ان يصعد ؟

أبهذا الاجترار والتهاون نريده ان يصعد ؟

كلا ، انه سيصعد ولكن بغير هذا ، سيصعد حين يرفع البصر فيجد امثلة تقننى ، وحين يديره حوله فيجد الفضلاء من قومه وغير قومه مثار الاعجاب والاعزاز . وسيصعد حين يوقن ان في قرارة الوجود حقا يسمى اليه ويكشف عنه في حمية واخلاص .

والآن ما خبر هذه العاصفة ؟

اخرج الاستاذ فتحي رضوان كتابا اسمه ((عصر ورجال)) زعم فيه ان العقاد خدم الانجليز وانه مدح الملك السابق ابتغاء الكسب ، وانه جبان لا يشجع الا اعتمادا على قوة تحميه ، وانه جامد الماطفة ،

حق انقارىء عليهم ان يخاطبوا عقله فأطلقوا نخرصاتهم واثاروا الشبهات يردھا قارىء يحترم عقله ويقبلھا قارىء يريحه أن يصيح العالم كله مباءة للاقدار . ولكن الحق ينبعث في بعض الضمائر الحيصة فيكون لاسمائه أثر بعيد في زلزلة الباطل . من ذلك ما نشره الاستاذ رجاء النقاش في كتابه « ادباء وموافق » وكانت بينه وبين العقاد خصومة دفعت به الى تديد الاتهام - قال « أحب أن أقول كلمة أومن بها للحقيقة والتاريخ ، فالعقاد لم يكن في نكرة من افكاره ماجورا ، وموافقه الفئرية التي لا يوافقها عليها الاشتراكيون لم تكن لحساب أحد كما قال البعض كثيرا . واعترف - صادقا مستريح انصمير - انني واحد من الذين اخطأوا في حق العقاد واتهموه بأنه كان ماجورا في بعض كتبه ودراساته ، فالعقاد كان كثيرا ما يفرض على اتدين يناقشونه عندهما يفضب ان يستخدموا ضده كل الاسلحة . . » اني على يقين ان بعض القراء لن ينتهي من قراءة هذه الفقرة حتى يدين كاتبها وينسى شعوره بالاسف . حذار يا هؤلاء انكم بهذا لا تستأمنون للخطأ بل تفرحون به .

فتح فتحى رضوان بالشبهات ، وأعرض - وهو المحامي القديم - عن الاسانيد والبيئات والقرائن . فلننظر ماذا يقول ، ولنبدأ بالحادثة القديمة حادثة اشغال العقاد رقبيا على الصحافة ، تقول رواية العقاد « تشاء الحوادث أن اشتغل بالرقابة على الصحف وهي من ابغض الاعمال الى نفسي والى فكري ، وشاء هذه الحوادث أن اهتء نفسي بالخيبة فيها بعد ايام فلم احمد الله على نجاح كما حمدته على هذه الخيبة الموقفة . كانت لي صداقة ادبية بالمفقور له « جعفر والى باشا » وكيل وزارة الداخلية في ايام الحرب العالمية الاولى وكان من الادباء « القانونيين الاداريين » الذين يجالسون احيانا عثمان فهمي بك الذي كان مديرا لاسوان فمديرا لقنا فوكيلا للخاصة الملكية ، ثم خرج من الخاصة الملكية مفضوبا عليه لانه لم يحسن أن يشترك في ادارة الخاصة على الطريقة التي يرضاها صاحب الجلالة ، . . . وعلم جعفر والى انني ابحث عن عمل في القاهرة لان حالة انكبد عندي لا تسمح بقضاء الصيف

وانه وانه . . الى اخر ما زعم . قال هذا فتألف قوله اناس وتطوعوا بالاضافة اليه فرأينا من واجبتنا ان نحقق هذه الدعاوى ، ليس دفاعا عن العقاد فهو عندنا « رجل الحق » ، يصيب ويخطىء وهو رجل الحق ، ولكننا نحققها اختبارا لذلك الشعور الذي اسلفنا ذكره وبرهاننا عليه عسى ان يبلغ عند القارىء من النبوت ما بلغه عندنا .

و « العانة » في هذا الكتاب تحاول على شدة ظهورها أن تتخفى احيانا ، ولكنها في تخفيها تظهر نفسها اكثر . انظر اليها وهي تعترض على موقف من أجل الموافق في حياة العقاد يوم استدعاه الوفد في صيف سنة ١٩٢٥ الى الاسكندرية ليحايسه على مهاجمته لوزارة محمد توفيق نسيم ، وهي وزارة كان الوفد على حشد تعبير مصطفى النحاس « مسوطا منها » وكان الانجليز يؤيدونها . زعيم حزب الاغلبية في جانب - وهو من هو في ذلك الحين قوة واقتدارا وسيطرة على الجماهير ، وفي جانب اخر كاتب فقير لا ضمان له في عالم من الاطماع المتضاربة والمنافع المتباينة غير ايمانه وثقته بقدرة وعبقريته . وينتهي للحوار بأن يخرج الجانب الفرد على أكبر احزاب الامة معتدا برأيه رافعا مكانة الفكر وانقلم غير عابى ببدأوة السلطان . موقف كما نرى يشرف به كل صاحب فم ، ولكن الحالة لها راي اخر فهي في اعماعها تستهول هذا الموقف وتشر بفرده وفدائه ، هي لا تعهد في اوساط اناس من يسمو هذا السمو ، وفي الامايق يدور سؤال يظل حبيسا : لم لم يكن اناس كلهم اوساطا ، وماذا يتفرد بعض منهم ويبقى بعض فرانس للحالات ؟ ولكن السؤال بالطبع حينما يخرج الى السطح لا بد له ان يتزى بانطق - ولا منطق في الواقع غير منطق « العانة » . تقول « العانة » : « لو صحت هذه الرواية لكانت جديرة بأن تضحك ، فزعيم حزب لا يناقش أكبر كتاب هذا الحزب وانما يدخل معه فيما يشبه المناطحة ، فالزعيم يتحدى بسلطة الزعامة والكاتب يقول انه كاتب الشرق بالحق الالهي ، ولست ادري ما هو هذا الشرق الذي يعنيه الكاتب الكبير ، هو الشرق الادنى ام شرق ايران والهند والصين واليابان الذين لا يقران للعقاد ولم يسموا عنه ، ثم ما هو الحق الالهي الذي يجعل من الكاتب كتابا للشرق او الغرب » . يعني لا نذكر ايها القارىء هنا دكتاتورية النحاس وصلابة العقاد لان المسألة كلها مناطحة هازلة تنطلق الالفاظ فيها من فم « الطفلين » رعناء لا معنى لها ! وفات « الحالة » انها تفكر وحدها في غرفة مغلقة فانصة بان تسمع نفسها فقط ، فما من احد يجعل أن كلمة الشرق اذا وردت على لسان العربي فهي تعني الشرق العربي ، تقول « كوكب الشرق » ولا تعني شرق ايران والهند والصين واليابان ، وقد جاء في الكتاب الذي يمثل هذه « الحالة » ذكر لصحيفة « كوكب انشرق » وهي صحيفة - و « الحالة » تعلم - كان يكتب فيها عرب ويقراها عرب . اما الحق الانهي فهو حق الوهبة التي يمنحها الله لمن يشاء من خلقه .

بهذه العين التي تنكر ضوء الشمس لانها لا تريد ان تراه لا لانها لا تقوى عليه يقرأ الاستاذ فتحى رضوان حياة العقاد وكتبه فلا يجد فيه الا عميلا للانجليز ، مداحا للملك ، ناقلا لثقافة الغرب بلا تمثل ، ليس بشاعر ، وقصته الوحيدة ليست قصة . ونو استقصينا كسل الدعاوى لاستعصت هذه المقالة على النشر فلنختر اذن أخطرها :

(١)

العقاد والانجليز :

يرجع اتهام اتعقاد بأنه خدم الانجليز الى سنة ١٩٢٥ حين نشبت المعركة المشهورة بينه وبين الوفد بسبب هجوم العقاد على وزارة محمد توفيق نسيم التي ملات الانجليز ، وكان مكرم عبيد رجل الوفد الاول في ذلك الحين بعد النحاس هو المتصدي للرد على العقاد فذكر ان العقاد عمل في رقابة الصحف اثناء الحرب العالمية الاولى وكانت تحت اشراف الانجليز . وفند العقاد الدعوى في حينها ثم هسا هي ذي تبعت في كتاب فتحى رضوان لتكون وقودا جديدا في افران قوم لم يجدوا من

شعر

من منشورات دار الاداب

- | | | | |
|-----|---------------------|---|------------------------------|
| ٢٥٠ | للشاعر القروي | ● | الاعاصر |
| ٢٠٠ | لفدوى طوقان | ● | وجدتها |
| ٢٠٠ | » | ● | وحدى مع الايام |
| ٢٥٠ | » | ● | اعطنا حبا |
| ٣٠٠ | لعبد الباسط الصوفي | ● | ايات ريفية |
| ٢٠٠ | لفواز عيد | ● | في شمسي دوار |
| ٢٠٠ | لهلال ناجي | ● | الفجر آت يا عراق |
| ٢٠٠ | لعندان الراوي | ● | المشائق والسلام |
| ٢٠٠ | لخالد الشواف | ● | حدا وغناء |
| ٢٠٠ | لحمد الفيتوري | ● | عاشق من افريقيا |
| ٢٥٠ | لصلاح عبد الصبور | ● | احلام الفارس القديم |
| ٢٥٠ | لصلاح عبد الصبور | ● | اقول لكم |
| ٢٠٠ | لمعين بسيسو | ● | فلسطين في القلب |
| ٢٠٠ | لحسن النجمي | ● | كلمات فلسطينية |
| | | ● | بيادر الجوع |
| ٣٠٠ | للدكتور خليل حاوي | ● | سفر الفقر والثورة |
| ٢٥٠ | لعبد الوهاب البياتي | ● | الناس في بلادي (ط . جديدة) |
| ٢٥٠ | لصلاح عبد الصبور | ● | |

فيه ممالاة للانجليز لسقط نهائيا ولدخل فسي زمرة رجال الدعاية البريطانية والعاملين معها جهرة ، ولم يكن في ذلك الحين من يقبل لنفسه هذا الدور الا اولاد المقطم واصحابه وغيرهم من اعوان الانجليز المفضوحين . »

واضح من مساق هذه الرواية انها تصور قبول العقاد لما عرضه الانجليز على انه تبديد لامال المصريين و « بعض الوطنيين » الذين كانوا يرجون الخير من الحملة التركية . اي ان العقاد ما كان له الا ان يرفض لان الجريمة جريمة كبرى لا يقوم عليها من يخدم الانجليز جهرة اما من يخدمهم « سرا » كالعقاد - هذا الانجليزي غير المفضوح ! - فلا يقبل هذه الفضيحة . والامر أهون من ان يكون تبديدا للامال وطنيا للوطنية . يقول الدكتور هيكلم متحدثا عن تلك الحملة التركية « في شهر فبراير سنة ١٩١٥ وصلت قوات تركية الى صفة قنصاة السويس الشرقية ، وترامت بذلك انباء تناقلها الناس ولم تشر اليها الصحف . وكان المتشيعون للامان ولدولة الخلافة يذيعون ان الجيش المقبل عزم لسن يستطيع الانجليز صده . وكان اكبر رجاء هؤلاء المتشيعين للامان ان نشور مصر بالانجليز فيهبون ذلك على الجيش التركي ان يتخطى القناة فينضم اليه المصريون فتحل الكارثة بالانجليز . ولكنه تبين ان ما وصل الى القناة من الجيش التركي لسم يكن الا عددا قليلا يصاحبه بعض المصريين الذين كانوا في الاستانة ، وان هذا العدد لم يثبت للانجليز ولم يستطع ان يتخطى قناة السويس . » واذن قصارى ما كان يطلبه الانجليز من العقاد ان يذهب الى الجهة لينقل من اخبارها ما يقطع السبيل على اقاديل انصار الخديوي من المتشيعين للاتراك والامان ، ومع ذلك لم يقبل العقاد ، لا لان القبول تبديد لامال المصريين بسلا لان العقاد ، كان يرى ان الحرب بين عدوين كلاهما عدو لنا . يقول « احب ان اعيد هنا رأيي الذي اعلنته في اثناء الحرب العالمية الثانية ولسم استطع ان اعلنه في اثناء الحرب العالمية الاولى ، فقد كان من رأيي في الحزبين ان تتولى مصر واجب اندفاع عن حدودها موفورة السلاح والاستقلال والا تتولاه - بدهاء - في ظل انحماية والاحتلال . فلما سمعت اقتراح الدكتور صروف قلت له : انني لا اتره ان ابث الطمأنينة في قلوب المصريين من ناحية الدفاع عن بلادهم اذا كان المصريون هم الذين يقومون باعباء هذا الدفاع اما وهو - كما يحدث الان - من عمل دولة الحماية فليس من المعقول ان ارفض الحماية واقبل دفاعها . وكان الدكتور يعلم رأيي هذا في الحماية من احاديثي معه قبيل ذلك خلال زيارتي له في صدد مقالاتي الادبية فكاد ان يمتد من مواجعتي بالاقتراح لانه نسي اننا تحدثنا في مسألة الحماية منذ شهر ، وانصرفت وهو يكرر قوله : انه لو ذكر ان في الاقتراح شيئا لا اسيفه لما فاتحتني به . » فهذا رجل يرفض لمبدأ ورأي لا لانه يابى ان يكون « انجليزيا مفضوحا » . وكل ما في الامر ان رأيه يتعارض مع رأي انصار الخديوي ، وليس يفينا الان الموازنة بين الرأيين ، ولكننا نقول ان كليهما على وجه العموم مخلص للوطن ، والاختلاف بينهما ليس اختلافا بين الوطنية والخيانة ، بل هو اختلاف بين رأيين في خير الوطن ومن اجله . ولقد حرص العقاد على دفع الشبهة عن كانوا يعملون من اجل دخول الامان والترك الى البلاد فقال في كتابه عن سعد زغلول « اما من كان من المصريين يرجو خيرا من الفزوة التركية فانما كان يرجوه لانه سمع باعتراف الدولة العثمانية باستقلال البلاد ، ولان فتح مصر لم يكن على تقديره ليفضي الى ضياع استقلالها ولو لم تصح اشاعة الاعتراف به فسي الاستانة لان الامان لا يقدر على غصب مصر من الترك والترك لا يقدر على قهرها بالقوة الدائمة ، وقد كان قطع طريق الهند غرضا كافيا لفتح مصر وتسليمها الى اهلها والاستفادة منهم في اثناء الحرب بما يقدمونه من الجند والميرة والمال ، والا فمن المضحك ان يتوهم احد ان المصريين ودوا يومئذ لسو يخرج الانجليز ليحل الامان في محلهم ويسيطروا وحدهم او مع الترك على حكومة بلادهم فتلك سخافة لا يقاها عاقل ولا يقول بها قائل يزن كلامه » .

في اسوان ، وعلمت منه مرة ان الرؤساء الانجليز يفاتحونه بضيقتهم الشديد من مشكلة الرقابة على الصحف اتربية وانهم يكادون ان يحماوه تبعه هذه المشكلة لانه احق الناس ان يعرف كيف يختار للرقابة انبسا من ادباء المصريين يصلحون لها ولا سيئون فهمها ، . . . قال : والحيرة في امر هذه الرقابة ان اكثر الرقباء بادارة المطبوعات لا يفهمونها ويحسبون انها تكميم للافواه والاقلام ومساوقة بينهم وبين الصحف في المكر والحيلة ، فكلما خطر لهم ان صحيفة من الصحف تلعب بالالفاظ لتفويت خبر من الاخبار داخلهم الفرور وظنوا انهم يظلمون الصحيفة في المكر واللعب ، فيحذفون الخبر ويصرون على منعه ومنع الاشارة اليه . ومن ترخص منهم في السماح بنشر الاخبار التي يحرض عليها الصحفيون فانما يترخص في ذلك مجاملة لاولئك الصحفيين من اجل الصداقة او من اجل المنفعة المتبادلة .

قال : ولا ادري ماذا اصنع وانا الوكيل المصري المفروض فيه انه اقدر من غيره على حل المشكلة . فهل لك ان تؤدي هذه الامانة الشاقة وان تهيئنا على تجربة الرقابة كما ينبغي ان تكون . قلت : انني اقبل العمل في الرقابة ولا غفصاة ما دامت الرقابة من المصالح العامة فسي ايام الحروب . وبعد ثلاثة ايام جاءني تنبيه وسؤال عن بعض الاخبار التي تركتها للنشر وتحقق لهم اني لم احذفها . وبعد يومين او ثلاثة جاءتني دعوة الى مكتب مستر « هورنيلور » الرقيب العام . . . فلما دخلت المكتب سألني مستر « هورنيلور » مقطبا : هل راجعت هذه الاخبار ؟ وقدم الي رزمة من جزايات الصحف اليومية والاسبوعية . فقلت بعد اطالة النظر فيها : نعم . فماد يسأل : وكيف تبيح نشر الاخبار المقلقة التي من هذا القبيل ؟ قلت : انها تباح فيما اطلع عليه من الصحف الانجليزية ويباح لتلك الصحف ما هو اخطر منها بكثير . فصاح متهكما : الصحف الانجليزية ؟ ثم اردف قائلا : هل انت من الحزب الوطني ؟ قلت : انا مصري وطني بطبيعة الحال . قال : اذا كنت لا تعطف ممتسا فلماذا تتولى هذا العمل ؟ فأجبتته بسلام فحواه انني لا افهم المقصود بالمعطف مهمم ، ولكنني لا ابقي في هذا العمل اذا كان يتطلب منسي شعورا لا افهمه . . . »

فما الذي ينكره الاستاذ فتحني من هذه الحادثة ؟

يقول « الاختلاف بين البريطانيين انفسهم يقع ، فوقوعه بين العقاد وبين هورنيلور لا يزكي العقاد كثيرا ، ولا يفي عنه ان الانجليز لسم يكونوا يتوجسون منه ، بل على العكس كانوا يطمنون اليه ويودون ان يصلوا اسبابهم باسبابه . » نعم ، يقع الخلاف بين البريطانيين ويقع بين المصريين ولكنه حين يقع بين المصري والحكوم والبريطاني الحاكم تكون له دلالة . ان السؤال هنا : اما كان يمكن لهذا الخلاف ان لا يقع ؟ فجن ضعف القياس ان يكون الخلاف في حالة كهذه شبيها بالخلاف بين أي انجليزي واي انجليزي . فيم الاباء اذا كان الرجل ماجورا ؟ اما قبول العمل في مثل تلك الاحوال فلا غبار عليه لانه عمل لا يضر بمصاحبة الوطن ، وهو اذن عمل وطني ، خير ان يقوم به مخلص للوطن من ان يقوم به من لا يعنيه وطن او اخلاص . يقول العقاد من رده على مكسرم سنة ١٩٣٥ « فارقت العمل بعد اسبوع واحد وانا لا اعلم متى تنتهي الحرب ولا اعلم متى اعثر بعمل يكفيني . ولو كنت ماجورا . . . لاستطعت ان ابقي سبع سنوات في تلك الوظيفة لا سبعة ايام . . . »

وموقف ثان مع الانجليز . يقول الاستاذ فتحني « عاد الانجليز - في شخص يعقوب صروف صاحب مجلة المتطفت يلتمسون العون عند العقاد اذ رشحه يعقوب صروف للسفر الى شبه جزيرة سيناء ليكتب تقريرا صحفيا عن الوضع العسكري هناك ابان الحديث عن حملة تركية تهيبا لفزو مصر خلال سني الحرب العالمية الاولى ، وقد كان الانجليز في حاجة الى من يبذل لامال المصريين في هذه الحملة . وكان بعض الوطنيين يعقد عليها الامال . صحيح ان العقاد قد اعتذر رافضا الاخذ بنصيحة الشيخ التفتازاني احد مشايخ الطرق الصوفية في تلك الايام ولكن الدلالة في الترشيح وليست في القبول او الاعتذار ، ولو سافر العقاد وكتب شيئا

هذا رجل يعرف الانصاف فلماذا يمز عليه الانصاف !!

وموقف ثالث مع الانجليز صورته فتحي رضوان بعد ان اسقط منه ما لا يوائم دعواه فقال « ذكر العقاد بنفسه (انتبه ، أي ان العقاد اقر على نفسه والاعتراف سيد الأدلة) ان صحفيا ايرانيا زاره في سكرتارية مجلس الاوقاف الاعلى ابان عمله بهذه الوزارة وانهي اليه ان السكرتير الشرقي بدار الحماية البريطانية يريد ان يراه فذهب اليه العقاد في مكتبه بدار الحماية فدار الحديث بينهما حول شؤون الاوقاف مما يتصل بعمل العقاد ، وتحري ستورز من العقاد عن صفقات نمت الى علم الانجليز ان الخديوي عباس يضغط على الموظفين المختصين بديوان الاوقاف للموافقة عليها ، وهي عمليات تبادل بين اعيان تابعة للاوقاف واعيان مملوكة للخديوي او للاوقاف الخصوصية الخديوية . وفي التبادل نفع ظاهر للخديوي وغبن بين للاوقاف . واجاب العقاد بما بدا له يومذاك ولما خرج وصاحبه فهم العقاد ان حديث ستورز عن الاوقاف لم يكن سوى ذريعة. تدرع بها ليسمع العقاد فيحكم مما يقول على مدى لياقته وصلاحيته للقيام باعباء رئاسة تحرير جريدة المؤيد النسي كان يملكها الشيخ علي يوسف وكانت هذه الرئاسة قد خلت آنذاك بوفاة الشيخ .» وغير ذلك تصوير العقاد للموقف . يقول « كانت يد الخديوي مطلقة في وظائفه وامواله ، وكان مع الاسف الشديد يحتكرها لاشباع نهمه من المال والندسية ، ولا يابى ان يسف الى الاختلاس من اموال الصدفات واستباحة السمرة على صفقات الاستبدال ، وشاعت في تلك الايام قصة ارض المطاعة التي اخذ فيها الخديوي لنفسه ستين الف جنيه باسم « العمولة او الوساطة » وعاد بعدها فتعقب كل من عارضوه ووقفوا في طريقه من الموظفين النزهاء فمقابهم على الامانة واليقظة بالفصل والاهمال . وكان المختلون يحاربون الخديوي على تقليد النزاع بين السلطتين ، ويابون عليه ان يستأثر بهذه الحكومة الصغيرة في داخل الحكومة الكبيرة ، ويعلمون انهم لا يستطيعون المساس بالمعاهد الدينية فيرجعون سرا الى الاستانة لجس النبض في دار الخلافة والنماس الفتوى من شيخ الاسلام بجواز الرقابة الرسمية على نظار الاوقاف وعلى ناظرهم الكبير وهو امير البلاد . وكان طلاب الاصلاح يهتمون بامر واحد وهو القضاء على المفسد في ديوان يرتبط به نظام المعاهد الدينية اشد الارتباط ، فلا أمل في اصلاح هذه المعاهد ولا في اصلاح القضاء الشرعي معها ولا في اصلاح الازهر بفروعه ما لم تكن ادارة الاوقاف خاضعة للرقابة العلنية خارجة من تلك العزلة التي جعلتها اشبه بصنعة من صناعات الخاصة الخديوية ، مع الفارق بين صنعة يفار عليها مالها وصنعة يبدها من يملك الامر فيها .. قد هالني ما علمت من فضائح الديوان بعد فترة وجيزة ، وان كنت لا اجعل قبل ذلك انها شيء يهول (لاحظ ان الاستاذ فتحي افغل ذكر هذا الشيء المهول لانه لا يريد ان يظهر الخديوي على حقيقته للقارىء لان الحزب الوطني - والاستاذ فتحي كان في مرحلة من مراحل حياته السياسية منتميا اليه - كان على وفاق مع ذلك الخديوي) . وكنت انكأ ولا اتحفظ . وربما كتبت الى الصحف بعض المقترحات لاصلاح الديوان بغير توقيع ، وربما تحدثت بها في المجالس التي اختلف اليها ، وكلها في بيئات الادباء المدرسين بمدارس العباسية الاهلية حيث كنت اقيم .

وكان الاستاذ روجي الايراني صاحب احدى المدارس الكبيرة في العباسية البحرية (اذن لم يكن صحفيا كما ذكر الاستاذ فتحي وهذا من قلة التدقيق) ، وكان يعمل في ساعات من اليوم بالترجمة في دار الوكالة البريطانية فجاءني عصارى ذات يوم يقول ممتلدا : ارجو ان تفكر لسي غلظة وقتت فيها بغير اذنك .

قلت : خيرا فما اظن انني عرضة منك لغلظة تفسير . قال : انهم سالوني اليوم عن مقترحات في الصحف وانا اترجمها لهم فقلت انني اعرف كاتبها وذكرت لهم انني اراك في كثير من الايام ، فهل يغضبك ما فعلت ؟

قلت : انني كما تعلم كنت مستعدا ان اكتب في الصحف بتوقيمي

لو كنت استطعت ذلك دون ان يبادروني بالفصل من الوظيفة فلا لوم عليك ولا حرج علي . قال : ليس هذا كل ما في المسألة ، فان السكرتير الشرقي يريد ان يلقاك فهل لديك مانع ؟ قلت : لا مانع لديه فما المانع لدي . وبعد يومين لقيت مستر ستورز مع الاستاذ حسين روجي فاستهل الحديث بالكلام على الادب وعلى برناردشو ثم استطرذ الى الكلام على الصحافة . واكثر من الكلام على صحيفة « المؤيد » وقرأتها ومحرريها ، ثم مضى مستطرذا الى الكلام على الاوقاف فسألني عن صفقة منوبة على ارض يملكها عين مشهور من اعيان القليوبية ، وعجبت لعلمه بخبرها وهي لا تزال في دور التحضير الاول ولما تصل مذكرة من مذكراتها الى قلم السكرتارية . ثم بدرت منه كلمة جافية لا ادري كيف جرى بها لسانه الا ان يكون قد تعود الجهر بامثالها ولم يتعود من احد ان ينكرها عليه ، فقال : الا ترى ان حرمان الاوقاف من الرقابة الاجنبية هي علة هذه المفسد التي شاعت فيها ؟ فصدمني هذه الكلمة النابية ولم البث ان اجبتها بحدة ظاهرة فقلت : ان المجلس البلدي الاسكندري يتمتع برقابة اجنبية من كل جنس وصلة ، ولا اظنكم تحسبونوه مثلا من امثلة النزاهة والنظام . فتنبه وسكت ، ثم استأنف الحديث ليختمه بمباراة صالحة للختام .. »

وواضح من هذا الان الانجليز لم يجدوا في العقاد رجلهم الذي يطمنون اليه في رئاسة تحرير صحيفة كالمؤيد ، ولكن فتحي رضوان يرى غير هذا : « لسنا في حاجة الى ان نقول ان الانجليز لا يتجهون الى ترشيح كاتب كالعقاد لشغل هذا المنصب السياسي الهام الا وقد علموا سلفا باتجاهاته السياسية وبشعوره نحوهم فقد كانت الغاية من اسناد رئاسة تحرير المؤيد اليه ان يكون المؤيد لسانا من السنتمهم . » يقول ذلك متجاهلا السبب الذي ادى الى مقابلة العقاد للسكرتير الشرقي ، ومتجاهلا نتيجة المقابلة التي تدل دلالة قاطعة على ان العقاد ليس هو الرجل المطلوب . واذا كان شعور العقاد مع الانجليز فلماذا يجبههم بمنطق العدو وهو في مقام اختيار الشعور ؟ ام يريد الاستاذ فتحي ان يقول ان الرجل لا يكون وطنيا وقد خطر على الانجليز ان يعرضوا عليه التعاون معهم ؟ ان هذا غلو في التصور لان الانجليز لا يتمتع عليهم ذلك الخاطر الا باحد امرين : ان تكون عداوة العقاد لهم قد اصبحت ظاهرة ولم تكن في ذلك الوقت من الظهور بحيث تقطع عليهم كل رجاء في استخدامه ، والعداوة - بعد - ظاهرة او غير ظاهرة لكن تمنعهم من محاولة الاغراء ، او ان يهبط عليهم وحى بان العقاد سيرفض كل ما يعرضونه ، والاستاذ فتحي لا شك مؤمن بان زمان الوحي قد مضى ، وهو لا شك عالم ان الانجليز لم يكن لهم في ماضيهم حظ منه فالاحرى الا يكون لهم في حاضرهم ايضا .

اما الموقف الرابع مع الانجليز فقد اسقطه الاستاذ فتحي برمته وهو يحكي لنا قصة تعقب البوليس للعقاد وهو في اسوان في بداية الحرب الاولى . قال « وكان لتعقب البوليس للعقاد قصة مردها ايضا الى الحساسية المفرطة عند العقاد ، فقد اشتغل ناظرا بمدرسة ابتدائية في اسوان ، واقام للمدرسة حفلا كبيرا على عادة المدارس في نهاية العام الدراسي ، وارسل دعوة الى المدير ليشرف الحفل فلم يلب المدير الدعوة ولم يعتذر عن حضورها ، فانتقد العقاد مسلك المدير امام جمع من الناس ، ثم نقل هذا النقد الى المدير فكتب عليه ان ينتقد علنا امام صفار الناس ومن موظف عدوهم (المدير معذور كما نرى والعقاد سيء الادب !!) ، فاستدعى العقاد الى مكتبه الذي ما كاد يدخله حتى اخذ مغمدا وجلس امام المدير ، وثار المدير لان العقاد لم يستأذنه في الجلوس ، فرد عليه العقاد « ان الحكومة وضعت الكراسي في هذه الغرفة لاجلس عليها انا وامثالي » ، وصرف المدير العقاد ولما وصل الى بيته وجد ان امرا صدر بقضى عليه بملازمته بيته . فقد وقعت هذه المشادة خلال الحرب المالية الاولى ، وكانت الاحكام العرفية معلنة ونقل الامر على العقاد فاتفق مع احد ذوي قرباه على ان يفتعل شجارا على مقربة من داره بصرف نظر العسكري المكلف بحراسته ريشا يفر ، ثم

السكوت عن تلك الكلمة اولى واحجى ، فان الرجل بعدها وقف الى جانب المدير في طلب اعتقالي واقصائي من المدينة ، وقال عني انسي اخطر من ناظر المدرسة الذي نفته السلطة قبلي الى جزيرة مالطة ، وكنت قد تمعدت ان اشغل مكانه تحديدا للامر الذي صدر بمسد القبض عليه .. » . ورد هذا كله في كتاب « حياة فلم » .

اما خبير المدرسة واحتفالها فقراه في كتاب « انا » يقول العقاد « كنت مدة الحرب العالمية الاولى ناظر مدرسة المواطنة الاسلامية بأسوان ، وكان عندنا اذ ذلك مدير متاله طالما كابد الاهالي من غطرسته شرا . وصادف ان وقعت حادثة القاء القنبلة على السلطان حسين كامل فنجنا منها واحتفلت البلاد بنجاته ، وكان حقا علينا ان تحتفل ومرستنا بهذه المناسبة . (هذا هو سبب الاحتفال وليس كما ذكر الاستاذ فتحي ، وهذا من قلة التدقيق او من ضعف الذاكرة) . فلما اعدت العدة لهذا الاحتفال دعوت سعادة المدير لحضوره ولكنه لم يقبل فاحتجت عليه في ذلك ، فكان جوابه ان طوق المدرسة بخيله ورجاله (هذا هو جواب المدير وليس جوابه كما ذكر الاستاذ فتحي انه استدعى العقاد الى مكتبه) ، فرفعت عنه تقريرا الى السلطان حسين ، فلما وصل عظمته استدعى المدير الى القاهرة واطلعه على شكواي ، ويظهر انه انب المدير تأنيبا شديدا ، اذ ما عاد المدير حتى استدعاني ، فلما حضرت الى مكتبه جلست على احد المقاعد التي فيه فما كان منه الا ان انتفض قائلا « قف امامي يا افندي » فلم املك امام تلك اللفظة الا ان اقول له « ولاي شيء هذه الكراسي المرصوفة التي اشترتها الحكومة للجلوس في هذا المكتب ؟ » فبهت الرجل من هذه الاجابة ، ولكنني تركته وانصرفت ، فتهيج الرجل وامر اعوانه باللحاق بي ، فلما رجعت اليه جعل يهددني بالنفي الى « مالطة » وانا اعلم ان النفي الى مالطة اذ ذلك معناه الاعدام لان صحتي كانت لا تسمح لي بتحملة ، ولكنني لم اعبا بذلك وقلت له « افعل ما تريد » وانصرفت .

التنمة على الصفحة - ٦٠

انطلق حتى وصل الى المحطة فاستقل القطار المسافر الى القاهرة .. » وفي هذا الكلام تحريف كثير تكشفه اذا رجعنا الى العقاد . قال « ادركتني الحرب العالمية الاولى وانا في اسوان ، واحس الناس بوطة الاحكام العرفية .. وقد كانت شهوة الطفيان والحجر على الحريات قد ملكت نفوس الحاكمين واذنابهم من السلطين على الرقاب تحت حمايتهم بعد اشتداد الحركة الوطنية وتنازع القوانين والاورام المقيدة لحريسة المحكومين ، فلما تقررت الاحكام العرفية بكل قسوتها وصرامتها بمسد شيوع العمل بالقوانين المقيدة للحريات اوشكت الرغبة في الاستبداد ان تصبح هوسا في نفوس بعض « الحكام » ، ولا سيما الحكام الذين بدأ لهم ان الفرصة سانحة لاستغلال هذا السلطان المطلق طمعا في الكسب وشفاء للصفائف والاهواء .. لقد بلغ الطفيان بحاكم من الحكام في اسوان انه اراد ان يقضي يوما مع أسرته في الجزيرة الغربية التي يقصدها بعض الناس للرياضة في ايام الاجازات فارسل المتادى « الرسمي » يطوف أرجاء المدينة ، وينذر من تحدته نفسه بالنزول في الجزيرة ان يوطن نفسه على السيف والنار وخراب الديار . وشاعت سيئات الحرب العالمية على اسونها في اقليم اسوان الامسن الوديع . تجنيد اجباري لفرقة العمال ، واعتقال متكرر لشبهة ولفيسر شبهة ، واناوات تفرض لمة من العلل المخترعة ، تبرعا للصليب الاحمر ، او ترفيها عن الرضى والجرحى او مساعدة على مشروع كانوا ما كان من مختلف المشروعات ، واصبح كل طلب انذارا بالتهمة المحكوم فيها بفسير استئناف او انذار بالسداد في غير تردد ولا مساومة . حدث هذا في بلدي وبين اهلي وعشيرتي وانا انظر اليه بعيني واستمع الى اخباره باذني واحس كل مظلمة من مظالمه باحساس قريب واحساس انسان . حدث كل هذا وانا في الخامسة والعشرين . وحدث هذا وانا اقرأ الشعر فلا اذري ابا نواس لقول من اقوال المجون كما كنت اذريه لقوله في الحكمة :

خل جنبيك لرام ، وامض عنه بسلام
مت بداء الصمت خير لك من داء الكلام

لا يا ابا علي ، غفر الله حكمتك ومجونك فان كان موت يا صاح ، فما باله يكون بداء الصمت ؟ ولم لا يكون بداء الكلام ؟ وتكلمت باللسان وتكلمت بالقلم كاتب الى وزير الداخلية والى السلطان . وكانت المناوشات بيني وبين المدير سجالا .. كنت اشكوه واعزز الشكوى بالبيانات ، ثم تستدعيه وزارة الداخلية فنقرأ في الصحف انه قابل عظمة السلطان ثم يكشف هو بحماقته عن سر هذه المقابلة التي يستدعي لاجلها من اسوان ، فاعلم انه سمع فيها ما ليس يرضاه ... ويتبين من مجرى الحوادث ان المدير تعدر عليه نفي لانه نفي قبل ناظرا لمدرسة المواطنة وكنت انا ناظرها الثاني فاشفق القوم ان يقال انهم يضطهدون المدرسة الاسلامية الوحيدة في البلدة ، وكل ما استطاع المدير ان يقنعهم به هو ان يشدد على الرقابة ويقيد اقامتي بالمدينة فلم اكرث لهذه الرقابة ولا لهذا التقييد ، لاني بطبعي كثير المكوف في المنزل ... وفتنقت الحيلة للمدير ان يصدمني بمفتش الداخلية الانجليزي ، فالتقى اليه اني اتهمه بالرشوة واذيع عنه انه يقاسم الموظفين « اناوات » السلطة على وظائف العمدة والشايخ و « تبرعات » الاعيان وصفقات التموين ، ولسم يكذب المدير فيما ادعاه ، لاني كتبت في الواقع اقوال واعيد ان المفتش الانجليزي يقبل الرشوة ويفرضها على رؤوسه . واستدعاني المفتش الى ديوان المديرية فقال فيما قال في حديث طويل باللغة الانجليزية : « لا يوجد انجليزي مرتش في الحرب ولا في السلم » فبدت مني كلمة لا ادري ماذا كنت اقول سواها لو قصدتها عن روية ، وقلت : ان الانجيز جديرون بالتهنئة لانهم قد تفسروا كثيرا بعد حرب الترنسفال . والمعروف ان حرب الترنسفال قد كشفت عن فضيحة من اشنع الفضائح في حالتى الحرب والسلم اثناء القتال وبعد القتال ، فلو اتني تمعدت الروية كما وجدت امامي مثلا اقرب من ذلك المثل للرد على صاحبنا الفخور بالتعفف عن الرشوة في الحرب والسلم ، ولكنني لو تمعدت الروية لكان

هذا الشهر :

بدر شاكر السياب

مختارات من شعره

قدم لها :

ادونيس

منشورات دار الاداب

عاصفة على العقاد

تنمة المنشور على الصفحة - ٣١

ثابت ان وزارة محمد توفيق نسيم الثانية كانت ممالئة للانكليز ، والاستاذ فتحي رضوان لا يخالف في هذا ، وثابت ان العقاد هو قائد الحملة التي انتهت باسقاط الوزارة ، والاستاذ فتحي رضوان لا يخالف في هذا . فماذا يقول الاستاذ فتحي رضوان في هذا بعد كل هذا ؟ يقول : « هل كان خروج العقاد واصدار جريدة « روز اليوسف » اليومية سببا للانشقاق الذي وقع في صفوف الوفد وانذي خرج بسببه بعد ذلك ماهر والنقراشي ، أم ان الانشقاق هو الذي أوحي باصدار جريدة لا تخضع للتوجيه المباشر لزعامة الوفد ، وتمتع بشيء من الاستقلال في وضع سياستها وتنفيذها ؟ » وهذا سؤال لا محل له لانه من الثابت أيضا ان خروج العقاد على الوفد كان بوحي من نفسه ولم يكن باتفاق مع ماهر والنقراشي . ولقد سمعت من العقاد ان النقراشي نصح له بعدم الخروج على الوفد اشفاقا عليه من جبروته . ثم لماذا يتم الاتفاق سرا ؟ جواب لا سؤال عليه . ولكن الاستاذ فتحي يلقي ضوءا جديدا على الفكرة يزيدنا عموصا ، يقول : « الذي نرجحه ان الدوائر ذات النفوذ التي ترسم سياسة مصر ، وتحرك الخيوط المتصلة بالزعامات والزعماء ، كانت قد فرغت من اصدار قرار يقضي بان تقوم هيئة سياسية جديدة ، تنتمي لسعد زغلول ، وتعمل على السياسة الحزبية تحت اسمه ، ولا تخضع في الوقت نفسه للنحاس ، ولا يدين له بالنولاء » . والدوائر ذات النفوذ يعني بها الاستاذ فتحي بالطبع الانكليز ، ومعنى هذا ان الذي يرجحه ان الانكليز لامر ما جمعوا في احدى انيالي العقاد وماهر والنقراشي وروز اليوسف وانفقوا معهم على ان يعملوا من أجل تكوين هيئة جديدة مستقلة عن الوفد ، وان يبدأ العقاد وروز اليوسف بالعمل ثم يتبعهما بعد عامين النقراشي وماهر ، ولا يد انهم اتفقوا مع العقاد أيضا على ان يهاجم الوزارة التي يؤيدونها لسبب لا زال في بطن الغيب حتى هذه اللحظة !!

هذا خيال لا يحتمل يا استاذ فتحي .

ثم ماذا ؟ كتاب « هتلر في الميزان » الذي صدر في بداية الحرب الثانية هو في رأي الاستاذ فتحي خدمة للدعاية البريطانية . « بزغ نجم هتلر سنة ١٩٢٣ وشاعت الدعوة النازية في كثير من بلاد العالم حتى وصلت الى بريطانيا معقل الديمقراطية . . وقد كانت مهاجمة هذا المذهب وهو في البداية أولى لان الناس في حاجة الى من يعبرهم بخطر المذهب الضار أول سماعهم به لكيلا يقموا فريسة له ، ولكن العقاد لم يقل في حق هتلر شيئا أو شيئا ذا قيمة ، حتى اذا قامت الحرب ، وانعدت الخصومة بين ألمانيا بلد هتلر وبريطانيا سارع العقاد بتأليف كتابه « هتلر في الميزان » وراح يعدد عيوبه وعيوب مذهبه فاقام على نفسه الحجة بان الكتاب كان خدمة لجهاز الدعاية البريطانية ، فبعد اندلاع الحرب بين ألمانيا وبريطانيا لم يعد كتاب العقاد مطلوبوا الا لتجميع الناس حول بريطانيا وحلفائها بعد ان بات الامر للمدفع والطيارة ، ولقد عزز العقاد كتابه باحدثه فسي الاذاعة التي كان يشرف عليها بدورها الانكليز خلال فترة الحرب وما بعدها . وقد فهم بعض شباب العرب موقف العقاد هذا الفهم ، فلما زار فلسطين في سني الحرب جاوروا اغتياله باطلاق الرصاص عليه » مهمم حق شباب العرب هؤلاء !! سامحك الله يا استاذ فتحي !! اكنت تريد من شباب العرب هؤلاء وانت ترى صواب فهمهم وتدين العقاد مهمم ان يردي رصاصهم أعظم كتاب العربية فسي عصرها الحديث ؟ فيذهب العقاد ويقي بضمة أوفاد مجرمين ؟

قال العقاد وقد ووجه بهذه الدعوى في سنة ١٩٥٤ : « انكم تهمسون أو تجهرون بخدمة الدعاية البريطانية ، وليس الافتراء من

أمثالكم بصير . فان يكن الافتراء منكم يسيرا فهو علينا عسير جد عسير ، ودونه تنقطع الاسنة وتخربس المكابرة بالقول الفاطح لا بالاختلاق والتشهير . اللواء شوقي عبد الرحمن هي موجود كان في ايام الحرب ضابط الاستعلامات بوزارة الدفاع المصرية ، وهو الذي يعلم ان الانكليز سألوا عن اكتاب وطلبوا منه نسخا لتوزيعها بمسد طبعه وتداوله فكانت النسخ التي اشترها لا تزيد على ثثمانة نسخة وهي كل ما وصل الى الانكليز ولم يصل اليهم الا من طريق الحكومة المصرية . ومرجع اخر ترجعون اليه لانه مكتوب ومحفوظ ، ذلك هو مرجع المكافآت البريطانية بعد نهاية الحرب العالية ، فاذا رجتم اليها وجدتم فيها أسماء سادكم ولم تجدوا فيها اسما لكتاب هذه السطور لان كتاب هذه السطور يكتب توجه الادب ولوجه الانسانية ، ولا ينسى ان ينحي على الاستعمار كلما أتى على اننازية والفاشية » .

اما ان العقاد لم يبصر الناس يحظر اننازية فليس صحيحا . لقد كتب في سنة ١٩٢٨ كتابه « الحكم المطلق » فحلل فيه الفاشية وهاجم النظم الاستبدادية فلما ظهر هتلر بعد ذلك وتولى حكم ألمانيا كسان العقاد يقرن الفاشية مع النازية في مقالاته كلما اقتضى الحال . والكلام عن الفاشية كاف لمن يريد ان يفهم ويريد ان يعتبر ، والا فان الفارئ الذي لا يفيد من « الحكم المطلق » في الحذر من امثال هتلر لن يفيد ألف كتاب عن هتلر . ومع ذلك لم يقنع العقاد بما كتبه عن الفاشية أو بإشاراته المثرفة أي خطر النازية ، وأخرج كتابه عن هتلر في بداية الحرب غير متأخر عن أوانه لانه كتاب موجه قبل كل أحد الى المصريين ، وكانت بوادر الافتتان بالاستبداد الفاشي قد ظهرت عليهم قبل الحرب الثانية بسنوات ، ثم افتتنوا بالنازية عند قيام الحرب ، وما زالوا كذلك حتى هتفت المظاهرات في وجه الانكليز : الى الامام يا رومل . فاذا كانت كل حجة الاستاذ فتحي على ان الكتاب الف خدمة للدعاية البريطانية هي انه صدر بعد قيام الحرب لا قبلها - ولا يقنع ما كتب العقاد في « الحكم المطلق » - فنحن نحيله الى مضبطة الجلسة الثالثة عشرة من مضابط مجلس النواب المصري في ٢٧ ديسمبر سنة ١٩٢٨ أي قبل اندلاع الحرب بنسعة اشهر ، وفيها يجد العقاد قد جهر برأيه في النازية وفي كل صنوف الحكم الاستبدادي أجنبيا كان أو قويا . لقد أدى العقاد واجبه كاملا فسي تنبيه قومه ولم يكن كتابه عن هتلر الا امتدادا لتنبئه قديم . غير ان « الحالة » لا تقدم شيئا نقوله وان تلجلج اللسان والتوى الف التواءة قبل ان يستطيع النطق . تقول « الحالة » : « بعد اندلاع الحرب لم يعد كتاب العقاد مطلوبوا الا لتجميع الناس حول بريطانيا وحلفائها بعد ان بات الامر للمدفع والطيارة » . تريد « الحالة » ان توهمننا ان « تجميع الناس حول بريطانيا » كان في ذلك الوقت جريمة عظمى ، كما حاولت ان توهمننا من قبل ان التشيع للامان والاتراك والخديوي في أثناء الحرب العالية الاولى كان هو الوطنية حق الوطنية . وتريد ان توهمننا أيضا انها « حالة عادلة » تنحى القرائن الصحيحة قبل اصدار الحكم ، فهي لا تحكم ارتجالا ولكنها تنظر فترى حربا تقوم وترى كتابا يخرج بعد قيامها منتصرا للفريق الذي يحتل بلادنا ، فالامر اذن مفهوم والجريمة واضحة ثابتة . فهل تسقط القرينة لو قيل للحالة ان العقاد هاجم النازية قبل اندلاع الحرب ، وهل تسقط اذا قيل لها ان كتاب « الحكم المطلق » لم يظهر في انشاء حرب ؟ كلا ، سيدور اللسان في الحنك دورة أو دورتين ثم تقول : لا بأس ، الانكليز اعداء لنا قبل الحرب وبعد الحرب وكل مهاجمة لاعدائهم هي انتصار لهم قد قبض أجراها . هنا ندع « الحالة » وقد بلغت هذا الحد من الهديان الى مصيرها المحتوم ، ثم نقول للقارى : نعم كان رأي العقاد في الحرب مناصرة الحلفاء لان الانتصار لهم انتصار للديمقراطية . فاذا كانت مناصرتهم جريمة تكراه فما هو غير المنكر ؟ مناصرة المحور ؟ أم التفرج على المارك الدائرة فوق أرضنا ؟ أما مناصرة المحور فحماقة اعظم من حماقة هتلر ، وأما التفرج فهو من الناحية العملية لم يكن

ممكنا . لقد تحملنا تكاليف الحرب وقدرنا من جرائرها حتى لقد اعترف سير مايلز لامبسون السفير البريطاني في مصر باننا اشتركنا في الحرب وان لم نعلمها ، وهو من ناحية المبدأ والرأي مسووف العاجز الذليل الذي يترك الامر « للمدفع والطيار » ثم يسلم نفسه للقلب . هكذا كان يفكر العقاد وهكذا فكرت الهيئة السمعية فسي البرلمان المصري ، وعلى الرغم من ان مجلس الوزراء المصري في ذلك الوقت لم يأخذ برأي الهيئة السمعية في اعلان الحرب على المحور كان مجعما على دخولها اذا وطئت جيوش المحور ارض مصر ، فهل كان يكون دفاعنا حينئذ دفاعا عن محتلي بلادنا ، وهل كانت الامة كلها تكون حينئذ اجيرة للاستعمار البريطاني ؟!

بقي سهم سقط في جمبة فتحي رضوان من جمبة مكرم عبيد . يقول : « كان العقاد عنيفا غاية العنف مع خصومه من المصريين ، ولكن لم يؤثر عنه طوال حياته السياسية شيء عنيف في حق الانكليز واحتلالهم الا ما عسى ان يكون قد قاله ابان ثورة سنة ١٩١٩ حينما كان اسلوب جميع الكاتبيين والنظميين والخطباء والتكلمين هو اسلوب العنف والحدة في مقاومة الاحتلال » . ولو اردنا ان نورد شواهد فقط على ما قاله العقاد في « حق الانكليز واحتلالهم » لضاقت عنها صفحات هذه المجلة . اما مكرم عبيد فهو يرى ان عنف العقاد تجاه الاستعمار فتر كثيرا بعد خروجه من السجن . قال : « وما ان خرج البطل من السجن حتى ابتلع حماسه ولطف من حدته فكنت تقرا مقالاته فتكاد لا تعرف أسلوبه لان أسلوبه من الصنف العنيف بينما السجن من الصنف الخفيف » . وقال العقاد من رده عليه : « .. هذه صحيفة مصر لم ابدأ الكتابة فيها بعد خروجي من السجن الا وقد بدأت الحملة على الاستعمار وواليت الكتابة والدعوة الى الجهر بخطة العدا والمقاومة ونشر الدعاية حتى اضطر الوفد اضطرارا الى اعلان تلك الخطة بعد شهر ، ولكنه أعلنها وهو يلتفت الى الوراء لينظر هل يتبعه الانكليز واعدين بكرسي الوزارة او هم غير حافلين ، وأعلنها وحدها ولم يشفعها بالدعاية في الغرب والشرق كما فعلت جميع الامم في جميع القضايا الوطنية لان الوزارة لا تنال بالجد في العدا كما تنال بالتوسل والرجاء .. فماذا كان يقول مكرم عبيد « الشجاع » لو لم تكن صحيفة مصر محفوظة في المكتبات مذكورة عند القراء ؟ » .

والفرق هنا بين مكرم عبيد وفتحي رضوان ان مكرم لم يستطع ان ينكر تاريخ العقاد في كفاحه ضد الانكليز ، ولكنه انهم العقاد بفتوره بعد السجن خوفا من الانكليز - وهو اتهام قد يدل على ان الانكليز كانت لهم يد في زج العقاد الى السجن وان تهمة الصيب في الذات الملكية لم تكن هي كل شيء - اما فتحي رضوان فقد انكر جهاد العقاد كله قبل السجن وبعد السجن ممتدا على تقادم العهد وقلة معرفة الجيل باحداث تلك الحقبة من تاريخ مصر ، حتى جهاده في ثورة ١٩١٠ يزري به لانه جهاد كاي جهاد ، وكان الثورة لم تعرف اقواما من القاعديين والكارهين لمعاداة الانكليز ، وكان كثرة المجاهدين ملفية لما بينهم من فروق .

ثم نذكر الاستاذ فتحي رضوان بشيء لا يستطيع انكاره لانه مسجل في الصحف : في سنة ١٩٢٥ سعى الاستاذان أحمد حسين وفتحي رضوان الى العقاد ابان احتدام المعركة بينه وبين الوفد ليكونا معه في ذلك الكفاح المرير . سعيا اليه تقديرا لجهاده ضد الانكليز ومن يوالونهم ويضعفون امامهم ، وفي لقائهما به صارحهما العقاد بما يخامرهم من ريب في جماعة « مصر الفتاة » ، ثم نشر أحمد حسين خطابا مفتوحا في جريدة « روز اليوسف » الى العقاد فرد عليه العقاد وذكر في رده لقاء الاستاذين به ومصارحته لهما ودفاعهما عن الجماعة . قال أحمد حسين من تلك الرسالة : « هذا انت تمد يدك لكل عامل وكل راغب في الجهاد غير ناظر للاشخاص وغير مقيم وزنا الا للمبادئ والاعمال ، وهذي يدي امدها لك لاكون جنديا واباك نعمل تحت لواء الكفاح الخفاق نشاطر الجهاد والقتال ونقتسم في نهاية

الامر ما ينتظرنا من سجن واغتراب واعدام . هذا انا ايها العقاد الثائر اميد يدي اليك ، هذا انا باسم مصر الفتاة اميد يدي اليك واعاهدك على العمل ، ولست اعرف ماذا سيكون نصيب هذا التقدم من ناحيتي، ولكني اقوم بواجبي وهذا حسبي . تحية ايها العقاد الظافر ارسلمها اليك والمجد لمصر » . وفي الجريدة نفسها نشرت كلمة فتحي رضوان التي اعددها لتلقى في الاحتفال بعيد الجهاد ١٣ نوفمبر سنة ١٩٢٥ ، وقال في نهايتها : « نحن نصور في نهاية الامر غيظنا وابتهاجنا اذ نقى الله الجو من الشكوك فتم تفاهم محمود المقدمات وسيكون باذنه تعالى محمود العواقب بيننا وبين الاستاذ الكبير عباس محمود العقاد » . لقد كان الاستاذان بغير شك يطمأن في سنة ١٩٢٥ كل ما يقوله خصوم العقاد فيه وكل ما لفته مكرم عبيد من اكاذيب . ولم يصدقا منه شيئا بالطبع ، والا ففيم سعيا اليه واعهاده على العمل ؟ اكان سعيا لعهدهما وعهدهما لخان ماجور ؟ فهل يفسر لنا الاستاذ فتحي أين كانت « أدلته الدامغة » يوم اغتبط وابتهج بالتفاهم بينه وبين العقاد ؟ أم ان تفكيره نضج بعد اثنين وعشرين عاما فادرك ان الجريمة هي ان يخطر للانكليز مجرد خطر ان يسندوا الى العقاد رياسة تحرير المؤيد ؟ ولا عليه من نتيجة الخاطر ، ولا عليه من اشتراك العقاد في ثورة ١٩١٩ ، ولا عليه من حملاته المتتابعة على الاستعمار واذنابه ، ولا عليه من هجماته على كل صروب الاستبداد .

(٢)

العقاد والملك :

تطل العبرة من دراسة التاريخ اذا اخطانا فهم البواعث التي تحرك الرجال ، لاننا لا نقرأ التاريخ كما نقرأ قصة لا يعيننا منها الا جانب التسلية ، ولكننا نقرأه لتعرف تفسيراً للوقائع والطابع . وتلك وظيفة التاريخ ووظيفة الادب الرفيع . غير ان الأرخ قد يقف عند ذكر الوقائع لا يتعداها الى التحليل والتفسير ، وهذا جهد لا بأس به على ان يكون جهدا امينا ، اما ذكر الواقعة والقفز منها الى الحكم دون احاطة بالظروف التي اكتنفها فشيء تبابه الدراسة النزيهة للتاريخ ، كما تآبى دراسة الادب على الناقد ان يرتجل احكامه بغير تحليل او تعليل .

مدح العقاد الملك . هذه واقعة ثابتة ، ولكن ما الباعث وما الغرض ؟ يقول فتحي رضوان انه مدحه تكسبا . فاذا كان المال هو غرض العقاد ، اما كان أولى به ان يزجي مدحه الى « فؤاد » كما ازجاه الى « فاروق » ؟ لقد هاجم العقاد الملك فؤاد وقال في البرلمان كلمته المشهورة ثم تابع هجومه في الصحافة فقبض عليه بتهمة العيب في الذات الملكية ، وحكم عليه بالسجن تسعة اشهر ، لم كان ذلك من رجل « متكسبا » ؟ سؤال خاسر الاستاذ فتحي وهو يكتب ما كتب ولكنه ظل كامنا بوجه القلم من مكمنه ولا يظهر . يقول ان العقاد « هاجم الملك فؤاد مرة واحدة ولكنه لم يقل شيئا في حق فاروق » مرة واحدة .. واحدة فقط .. اذن فلننسها هذه المرة الواحدة ، ولنسقط من حسابنا لا لشيء الا لانها مرة واحدة ! ويقول في موضع آخر : « كان عبد العزيز فهمي اسبق الى مهاجمة الملك في شخص رئيس ديوان الملك حسن نشات بكلمات عنيفة غاية العنف ، باعنف من العقاد ومن الوفد كله ، كما كان أحمد عبد الغفار اكثر النواب جرأة حينما هاجم مخصصات الملك في برلمان سنة ١٩٢٦ وهو برلمان الائتلاف ، ولكن طبع عباس العقاد ومزاجه اتاح له شرف القسولة المشهورة » . عبد العزيز فهمي اسبق ، اذن فليتنصّل ولو قليلا ذلك الفضل المحقق في الافاق يسند علينا منافذ البصر ويحتم على صدورنا كالكابوس ، فليتنصّل لانه فضل مسبوقة ، وهو فضل مرده بعد ذلك الى حرارة الطبع وحده المزاج لا الى الروية والتقدير والاتزان ، فلو لم يكن للعقاد ذلك المزاج وذلك الطبع (هكذا تفكر « الحالة ») ،

ولو انه ناب الى العقل لآثر الراحة والمسألة والتكسب . وبهذا ينزاح السؤال المخامر : كيف يستقيم أن يكون ذلك الرجل المجاهد من « الأدباء المتكسبين بأدبهم » ؟

ولننظر الان الى مثل من الامثلة التي يسوقها فتحي رضوان لتكون برهاناً على دعواه . يقول : « الانحياز للملك والرغبة في الاجتماع به والاستغلال بجاهه نزعة قديمة عند العقاد ، انظر اليه يكتب في عدد البلاغ الصادر في ٣٠ ديسمبر سنة ١٩٢٧ : الملك حقيقة فاعرفوها طائمين أو مكروهين ، من نصر الملك فقد نصر الحق ونصر الامة ومن تولى فعله لعنة الحق ولعنة الامة » . ماذا يفهم القارئ من هذا الكلام ؟ يفهم ان العقاد يخاطب الامة كلها هذا الخطاب التحدي فيقول : الحق مع الملك ومن لم يدع طائعا أذعن مكرها ، وللقارى بعد ذلك - وبينه وبين عام ١٩٢٧ عشرون عاما ، وبينه وبين مخازن الجرائد القديمة مشوار شاق - أن يسلم بأن العقاد ملكي أكثر من الملك . والحقيقة - وقد تعمد تشويها فتحي رضوان - غير هذا ، فإن المطلاع على حوادث تلك الفترة يعلم أن معركة حامية نشبت بين العقاد وحزب الوفد بزعماء النحاس ومكرم عبيد ، لم يكن للعقاد فيها سلاح تجاه أسلحة الوفد الجبارة غير قلمه ، معركة خبير فيها العقاد الاما مريرة حتى داخله اليأس . وليس من الضروري ان نفضل القول في تلك السياسة التي اتكرها العقاد وحض الامة على انكارها ، ولكننا نكتفي بالإشارة الى طرف واحد منها يظهر طبيعة المرحلة التي دافع فيها العقاد دفاعا قويا عن فاروق : خطب مكرم عبيد في سنة ١٩٢٥ فقال : « الواقع ان من يتتبع تطورات نهضتنا الوطنية يلحظ ان الوفد قد تطور الى زعامة وان الزعامة قد تطورت الى زعيم » . كانت هذه الكلمة علامة على السياسة الجديدة التي انتهجها الوفد ، سياسة الحكم الدكتاتوري ، هذه السياسة التي مارسها النحاس بعد سقوط وزارة نسيم وتاليه الوزارة الوفدية الجديدة ، وكان من مظاهرها تكوين فرق القمصان الزرق لتكون يده التي يطش بها بكل مخالفيه ، وعانت تلك الفرق فسادا في البلاد ، وضاق بها الناس ، وشكوا فما أصفت الوزارة الى شكواهم ، وما زال الامر يتفاقم والايام تمضي من سيء الى أسوأ ونسطة « القمصان الزرق » تشتد حتى لجأ الناس الى الملك ليشير في الحالة برأي ، ولكن الملك بحكم الدستور لا يحق له أن يتدخل في أمر أقرته وزارة لها في البرلمان اكثرية . كان المطلوب من الملك أن يعمل على حل القمصان الزرق ، وكان النحاس يرفض تدخل الملك محتجا بالدستور ، ووجد الملك نفسه في موقف حرج لان الشكوى في محلها وتدخله مناف للدستور . ايضت العقاد وهو يرى الملك - وقد عقدت عليه الامال في وقف طغيان الوفد - في ذلك الموقف الدقيق ؟ لم يصمت ، وما كان له ان يصمت ، بل أعلنها شعواء دفاعا عن حق الملك في التدخل من اجل الإصلاح . قال العقاد في البلاغ ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٢٧ : « ومن الامور المعروفة ان جلالة الملك يعمل بواسطة وزرائه ، ولكن هل معنى ذلك ان الوزراء يجوز لهم أن يخالفوا الدستور وأن من حقهم الخروج على قواعده وأصوله ما دامت لهم كثرة غالبية في مجلس النواب ؟ . ان قيام القمصان الزرق لا يخالف الدستور وحسب بل هو يخالف الديمقراطية في صميمها وهي شيء أهم من الدستور وأولى منه بالفيرة والصيانة . . . ومتى كان من حق الوزارة أن تحكم على الطريقة الدكتاتورية وهي لم تتلق الحكم الا على اعتبار واحد وهو انها وزارة دستور وديمقراطية ؟ وهل في الدنيا أعجب من قيام وزراء دكتاتوريين في عهد ملك دستوري . . ونسال بعبارة أوضح وأصرح : اذا كانت الوزارة لا تملك أن تسير على الخطط الدكتاتورية الا بموافقة صاحب الجلالة الملك فهل من حقها أن تعمل ما يتضمن هذه الموافقة بغير حصولها ؟ . . وهل يجوز للوزراء أن يشرعوا في البلد نظاما فاشيا

وهم لا يعملون عملهم الا على اساس الديمقراطية دون غيرها ؟ » . وقال في ٢٧ ديسمبر سنة ١٩٢٧ : « من حق صاحب الجلالة أن يشير برأي في هذه المسألة لانه قائد الجيش الاعلى ، فيحق له ان يصون سمعة الجيش وأن يمنع قيام هيئة عسكرية غير الهيئة التي هو قائدها وحافظ نظامها ، ومن حق صاحب الجلالة أن يشير برأي في هذه المسألة لانه حامي الدستور المقسم على صيانتته والولاء لقواعده وأصوله فيحق له أن يأبى قيام الفرق التي اباها أنصار الدستور والديمقراطية في أرجاء العالم قاطبة وعلى رأسها البلاد الانكليزية والبلاد الفرنسية . ومن حق صاحب الجلالة أن يشير برأي في هذه المسألة لانه ملك البلاد ورئيس الدولة الاعلى ، فيحق له أن يستمع الى الشكاية من رعاياه على اختلاف الهيئات والأحزاب وان يدل الوزارة على مواضع هذه الشكاية . . . هذه الفرق مخالفة للديمقراطية والحياة النيابية ما في ذلك مراء ولا مجال ، وقد يحسب بعض الناس اننا نعارضها اليوم لاننا نعارض الوزارة ولا نصبر على سيئاتها وأخطائها ، فليعلم هؤلاء ان رأينا في هذه الفرق قديم أعلنه وأعلنا أخطار المذهب الفاشية قبل أن يلتفت اليها الكثيرون في هذه البلاد وفي غير هذه البلاد ، ونشرناه في رسالة « الحكم المطلق » قبل تسع سنوات فلا باعث لنا على نقدها غير الايمان بالحرية الدستورية ، والخوف على مصر من عواقب هذه المذهب التي لا يفهمها القلدون هنا الا على ظواهر الازياء والعناوين . . . ان امرا واحدا محقق كل التحقيق حتى لا شبهة فيه من الشك وهو ان بقاء هذه الحال من المحال ، والتدبير بعد ذلك موكل الى حكمة الملك وحكمة الامة وحكمة الفيورين على الحق والحرية والاخلاق » .

ويجب أن نذكر شيئا هاما في تلك الفترة وهو ان الانكليز كانوا يحمون النحاس صاحب معاهدة سنة ١٩٣٦ التي يقول فتحي رضوان ان الامة خدمت فيها . ولما أحست جماهير الوفد ان النحاس في خطر خرجوا متظاهرين هاتفين « النحاس أو الثورة » ، الى هذا الحد بلغ احتدام المروءة ، الانكليز راضون عن الوزارة والقوفا يرتكبون جرائمهم فيتفاضي رجال الامن ، والوزارة تحتج باقامة الدستور ، والملك شاب صغير يطمع في حقوقه . في ذلك الجو المكفهر الذي ينذر باوخم العواقب والذي وصفه لنا وصفا امينا الدكتور هيكل في مذكراته كتب العقاد مقاله الذي اختاره فتحي رضوان من سلسلة مقالاته عن الملك مكتفيا بعنوانه واخر كلمة فيه . وهو مقال يصور لنا حقيقة الازمة من الناحية الدستورية . قال العقاد : « مسألة البحث بين المختلفين هي : هل للملك حقوق دستورية في شؤون الحكومة ؟ او كل حقوقه لا تتعدى مجرد التوقيع والتأمين ؟ وما من أحد في العالم يزعم ان امة دستورية تقيم عرشا لا عمل له غير مجرد الموافقة ، وما من دستور في العالم يحرم رئيس الجمهورية - فضلا عن الملك - حق المراجعة والناقشة في سبيل المصلحة العامة ، وليس الفرض من المراجعة والناقشة بداهة ان تكون شكلا من الاشكال او رسما من الرسوم ولكن الفرض منها ان تؤدي الى الافئدة والتعاون على الصواب ، واذا كان للوزارة أن تقر على رأيا وتأبى الاقتناع بعد ذلك فللملك أن يقبل الوزارة وأن يحل مجلس النواب اذا لم يؤيد الوزارة التالية ، وعلى هذا تتنظم الحقوق الدستورية ولا تنحصر في يد واحدة لها جميع الحقوق وليس لغيرها حق على الاطلاق » . ثم تحدث عن مظاهر الازمة وتشبث الوزارة برأيا ويقمصانها الزرق ، ثم قال : « ناقش الملك فيما عرضته عليه الوزارة وهذا حقه المشروع بل حقه السوجب للقيام بالحراسة العليا على مصالح البلاد في جميع العهود وبين جميع الاحزاب . وناقش الملك ثم ترك للوزارة في بعض المسائل عشرة شهور وفي بعضها ثلاثة اشهر وفي بعضها شهران فليس في الامر ارهاق ولا

تعجيل . ووقفت الوزارة لا تعرف الا « هكذا وكفى » ولا تدين بحجة للاقتناع غير الاصرار والاستمرار المطلق بالحقوق المدعاة فكيف يكون التعاون على هذه الحال ؟ وكيف تطرد الاعمال على هذه الوتيرة ، وما هي الوسيلة اذن في رأي الوزراء غير إلغاء الحقوق البديهيية لصاحب التاج ؛ ولولا هذه الحقوق لاسترسلت الوزارة في اخطائها الكبرى . . . ثم لا تستقبل الوزارة ولا تسمح لرجل من حزبها ان يتولى الحكم بعدها ولا تسمح بالتحكيم بين القصر وبينها فماذا تريد ؟ . . . اما الاقتناع بالحجة فلا . واما الاستقالة فلا . واما قيام وزارة اخرى من حزب الكثرة فلا . واما التحكيم واختيار المحكمين بالوظائف لا بالاسماء فلا . وهكذا وكفى . . . ولا دستور الا هذا الدستور . ولا علاج الا هذا العلاج . كلا أيها الناس ، ان حدود الدستور واضحة وان حدود العقل أوضح ، وان الملك ذو حقوق ، وانه ليس أكرم منه ولا أرحب صدرا وأوفر حلما واعظم غيرة على مصالح الامة فيما استعمل من حقوق . . . الحق مع الملك ، والملك حقيقة ، فمن نصر الملك فقد نصر الحق وقد نصر الامة ، ومن تولى فعله لعنة الحق ولعنة الامة ، وسيعلم العقبى وسوء المصير .

وبعد كل هذا نسأل الاستاذ فتحي رضوان : مع من تقف فسي مثل هذا الصراع ؟ ولسنا في حاجة الى سماع الجواب لاننا قرأناه في رسالة منشورة في البلاغ ٣ أغسطس سنة ١٩٣٧ وجهتها جماعة « مصر الفتاة » الى الملك طالبة اصدار امره باستفتاء الامة في وزارة لا ترضى عنها الامة وعمل انتخابات جديدة .

وبعد كل هذا نسأل الاستاذ فتحي ليس صحيحا ان العقاد نزع منذ قديم الى الاستقلال بجاه الملك ، بل الصحيح ان الملك هو الذي سعى الى العقاد ، والوثائق تشهد . قال العقاد وقد ووجه بهذه التهمة في سنة ١٩٥٤ : « أما فاروق فقد « لعنا أباه » حرفيا فهل سمع أحد اننا زحفنا على بطوننا الى عرشه يوم كان نه عرش تزحف اليه البطون ممن تعلمون ولا تعلمون ؟ انه على هيامه بذكرى أبيه قد تقرب الينا ولم نتقرب اليه ، وسئلتنا ان نستقبله في بعض المناسبات يوم كان الناس جميعا يمدحونه ولم يكن أحد يعيبه سرا ولا علانية ، فقدمنا له النصح في قالب المدح ووصفناه بما ينبغي أن يتصف به من تنفيذ الرعية وصيانة الاستقلال والحرية . ولم نطلب قط أن نلقاه الا وقد كان هو قبل ذلك طالب اللقاء ، وهذه سجلات القصر محفوظة يرجع اليها من شاء » .

(٣)

انصاف :

وأخيرا ها هو فتحي رضوان يتأهب للانصاف حتى لا يقول القارئ : متحامل عياب ، أو لكي يقول : « موضوعي » يعرض على الحقيقة كلها ، أو صاحب رأي يمليه العقل لا الهوى . ولكن كيف ؟ كيف يكون صاحب رأي من يقول في العقاد مثل هذا الحكم « لسو راجعت حياة العقاد لما وجدته قد أقدم على مهاجمة قوي الا وهو مستند الى من هو أقوى منه ، خصم عدلي وثروت وهو مستند على سعد وحزب الوفد ، وهاجم النحاس معتمدا على ماهر والنقراشي ، وهاجم هتلر وهو في حمى الانكليز . . » . كلام كما نرى يمكن ان يسقط به فضل كل مجاهد في أي مكان وفي أي عصر لان القوة فسي الغالب تقابلها قوة اخرى . ثم ما هذه المغالطة ؟ اكان ماهر والنقراشي حينما خرج العقاد على الوفد أقوى من النحاس ؟ وهل كان العقاد وهو ينتصر للديمقراطية في الحرب الثانية ينتصر للقوة المادية ؟ ان قوة المحور لم تكن أقل من قوة الحلفاء ، وقد كانت الحرب سجلا ، بل كان الالمان منتصرين دائما في البداية ، والتاريخ يقول لنا ان العقاد أخرج كتابه ووالى اذاعة رايه والالمان يواصلون انتصاراتهم فسي اكثر من ميدان والرأي العام في مصر ينتظر بما يقارب اليقين دخولهم اليها . ولقد حكى لنا الاستاذ فتحي في كتابه ان العقاد كان يحمل السم في جيبه بعد تضييق الوفد عليه ابان المعركة بينهما ، فلماذا هذا

الاستعداد للتضحية ؟ هذا رجل يضع حياته في كف وكرامته في كف حتى اذا اشتد عنت الدنيا وثقلت عليه خسة السفلة كان الموت في متناول يده . هذا الرجل ، أما كان يريعه من ذلك العذاب الواصب مشوار الى دار السفارة البريطانية أو مشوار الى الديوان الملكي أو ترك الامور تجري في اعنتها ؟ ويعلم الاستاذ فتحي ان كتابا كبارا عندنا لم يكتبوا حرفا ضد الصهيونية ، فلحساب من هاجمها العقاد واعتمادا على أي قوة ؟ (وهذا سؤال أيضا نوجهه الى الحائقين على العقاد لتعاونهم مع فرانكلين) ، وهاجم العقاد جماعة الاخوان المسلمين حينما كان في مقدورهم ان يقتلوا رئيس الوزراء ، وحارب العقاد الفاشيية قبل ان ينتبه الناس لخطرها ، وحارب الملك فؤاد فدفع به الى السجن . ليس في هذا كله يا استاذ فتحي شيء من القوة أو الشجاعة ؟ وكيف يكون صاحب رأي من يقول هذا الكلام : « وكان للعقاد سبب يدعو الى مهاجمة وزارة نسيم ، وآلا يلتزم بالخط السياسي الذي يرسمه الوفد لمهادنة تلك الوزارة . كان للعقاد صديق هو الاستاذ طاهر الجبلاوي نقل في عهد الوزارة السابقة على الوزارة النسيمية تنكيلا به لوفديته ولصلته بالعقاد ، فلما جاءت الوزارة النسيمية انظر العقاد ان يعاد صديقه الى القاهرة ولكن نجيب الهلالي وزير المعارف في تلك الوزارة - لامر ما - لم يعده اليها فاستشاط العقاد غضبا وأطلق على الوزارة عموما وعلى نجيب الهلالي خصوصا حملة عنيفة » .

يعني العقاد ليس بظلا في ذلك الموقف وانما صنع ما صنع اعزازا لصديقه ، (وهذا بالطبع باعث كان يعلمه جيدا الاستاذ فتحي في سنة ١٩٢٥ حينما سعى الى العقاد طمعا في كسب مودته وثقته) ، انه المرض هو الذي يتكلم : لم خلق الله العقاد هكذا قويا شامخا يتحدى ويفرب وينصر ؟ يقاوم قوى رهيبية يرتعد امامها البغاث ، اما كان قادرا - سبحانه - ان لا يعمله استثناء فيريحنا من ارهاق المشاعر السوداء ؟ نعم ان المرض هو الذي يتكلم ليقول ان العقاد لم يكن وطنيا وهو يقذف بالحجم وزارة لا يختلف اثنان في انها كانت ممالئة للانكليز ، ولم يكن صاحب رأي يعتد برأيه وهو يتحدى زعيم اكبر حزب في البلاد ، وعذابه وحمله الموت في جيبه ليس في سبيل مبدأ وفكرة وعقيدة ، انما هو باعث شخصي لو لم يكن لما كان كل ذلك . وليت الاستاذ فتحي اتقى بتفسيره الموج لمهاجمة العقاد للوزارة النسيمية ولم يحرف الحقائق . ان العقاد لم يهاجم نجيب الهلالي في عهد الوزارة النسيمية فقط بل هاجمه قبلها مرات لاسباب لا تتعلق قط بشخص العقاد وأشخاص اصدقائه . وفتحي رضوان هنا ينقل نقلا سيئا عن مكرم عبيد في هجومه على العقاد سنة ١٩٣٥ . يقول العقاد من رده على مكرم : « اما انني حملت على وزير المعارف لانه نقل هذين الصديقين الكريهين (الصديق الاخر هو الاستاذ عبد الرحمن صدقي) فالكذب فيه ظاهر . . فانا احمل على وزير المعارف منذ كان وكيلنا مساعدا للوزارة قبل ست سنوات ، وقد طلبت الفاء وظيفته يوم كنت في مجلس النواب لان الوظيفة زائدة كما ثبت بعد ذلك ولانه نشر الجاسوسية بين الاساتذة والطلاب لأول مرة فسي تاريخ التعليم . . ولقد كان عقاب وزير المعارف لهذين الصديقين الكريهين انتقاما مني لحملاتي ولم يكن باعث هذه الحملات » .

نعم ، انها « الحالة » ، فاذا وقف العقاد في مطلع شبابه وهو في اسوان في وجه الانكليز وقفه الجريء الكريم وحارب طفيان اذنان الانكليز قيل « حساسية مفرطة » فلا تحسب العقاد هنا جريئا كريما ايها القارئ ، انما هي اعصاب تالفة ، صحيح ان مدير اسوان كان طافية ولكن له عذره . واذا ذكر العقاد وهو بصدد الحديث عن اجداده ان منهم واحدا عرف بقوة البدن ، وروى انه تصدى لمجرم شرير أعجز رجال الامن زمتا فقبض عليه وسلمه الى البوليس قيل « والهدة في ذلك على العقاد » أي احترس ايها القارئ فهذه رواية مشكوك فيها ربما اخترعها العقاد ليقال ان في اجداده قوة بدنية وتحديا للشر والاشرار . واذا صحح العقاد بيان لجنة ملتر في سنة ١٩١٩ فكان

صدر حديثاً

بابا همنغواي



بقلم ا. هوتشنر
ترجمة ماهر البطوطي

هوتشنر صحفي شاب اقبل على همنغواي يطلب منه حديثاً ادبياً وهو يقول له: « اذا لم تعطني الحديث ، طردوني من الصحيفة » فاستجاب الروائي الاميركي الكبير للصحفي الذي اصبح صديقاً يلزمه كظله طوال اربعة عشر عاماً ، حتى موته .

و « بابا همنغواي » هو الكتاب الذي اصدره هوتشنر اخيراً عن حياة همنغواي وكتبه بأسلوب روائي شبيه بأسلوب همنغواي نفسه ، وكشف فيه النقاب عن ان الكاتب الاميركي انتحر انتحاراً ، ولم يقتل خطأ وهو يقرب مسدسه ، كما زعمت زوجته التي اقامت الدعوى الان على هوتشنر بسبب الاسرار الكثيرة التي كشف عنها في كتابه والمتعلقة بحياة همنغواي الخاصة ، ومنها اتهامه باغواء فتاة قاصرة في اسبانيا ومحاولته التهرب من دفع الضرائب الخ . . .

كتاب ممتع لا يزال يشير ضجة كبيرة في اوساط العالم الادبية .
منشورات دار الاداب

لتصحيحه اثر في تنبيه الوعي القومي سبقت هذه الحقيقة الثابتة بشيء من الاحتراس لا معنى له : « يقول عنه مؤرخوه . . » . واذا احب العقاد وهو في الخمسين وكتب شعراً في الحب قيل لم يكن حياً بل كان وهماً ، لانه ليس من المعقول ان يكون العقاد - والرأي فيه انه جامد العاطفة حامد الشعور - محباً في الخمسين . واذا اطلق المفتونون بالنازية رصاصهم على العقاد وهو في فلسطين سيق الخبر مفلجاً بالاعتذار لهم . واذا هاجم العقاد الملك فؤاد قيل انها مرة واحدة سبق اليها فلا يؤبه لها .

ويعني « صاحب الرأي » في التشويه فيروي عن العقاد ان النقراشي رأى خاله مرة - وكان خصوم العقاد يميرونه بأمه السوداء - فدهش النقراشي لانه كان يتوقع ان يكون خال العقاد من اهل السودان ، ثم يعقب فتحي رضوان فيقول : « وتحس في رواية العقاد لهذه الواقعة بانه كان فخوراً بان اهل امه كانوا من الاكراد ذوي الوجوه الشقراء » . وهذه رواية العقاد : « التفت النقراشي الى جانبي فرأى شيخاً ابيض الوجه أميل الى الشقرة وتوليت التعارف بينهما فحياه النقراشي وهو يقول ضاحكاً : عجباً . لقد كنت اقرا فسي الكشكول والصحف الشنامة عن « بختنه السودانية » ام عباس العقاد . . وسألني مازحاً : لماذا لم تكذب الخبر ؟ قلت : انني لست اكتب اخباراً اكذب من هذه ، فما بالي اكذب نسبتي الى ام سودانية ؟ ليس في الامر ما يوجب البراءة منه والاهتمام بتكذيبه ، فكم انجبت السودانيات من رجال يفخرون بالامهات » . آفي هذا الكلام افتخار ؟ ان العقاد يذكر هذه الحادثة وهو بصدد الحديث عن امه ليتطرق منها الى الكلام عن اصلها الكردي لا لاحساسه بالفخر ، والا فهل كان يلزم لكي تتنفي فطنة الفخر ان يسقط الكلام عن اصل الام فلا يشسار اليه قط ؟!

ان فتحي رضوان يكتب عن العقاد كمن يطلب ناراً . ومع ذلك فما هو ذا يشرع في « انصافه » متطوعاً منتظراً الاعتراف بجميل تطوعه . يقول : « ولو كنا مما يفعلون فعل العقاد وينهجون نهجيه لاهدنا كل ما فعل كما اهدر هو جهاد مصطفى كامل الباهر العظيم واثاره الباقية الخالدة » . اذن فالسائلة كلها انتقام لمصطفى كامل ، لا يتورع عن شيء من أجل شفاء الحزاة . وليس صحيحاً ان العقاد اهدر جهاد مصطفى كامل فان الفرق كبير بين الاهدار والنقد . يقول العقاد : « . . لم يزل مصطفى كامل احب المجاهدين اليانا في حومة القضية الوطنية بين اصحاب الصحف واعلام القضية المرية يومئذ . وبعد ان عرفت من حقائق الدعوة الوطنية وحقيقة نفسي ما لم اكن اعرف ، استطيع ان اقول ان اختلاف الطبيعة البعيد قد رسم امامي مثالا للامامة المذهبية غير هذا المثال » . اما « الاثار الباقية الخالدة » فوصف من قبيل الترخيص في الكلام ، فان يكون جهاد مصطفى كامل باهراً وعظيماً شيء مقبول ، ولكن باي معنى تكون مجموعة من الخطب الحماسية انتهت بانتهاؤها زمانها اثاراً باقية خالدة ؟

والس بعد ذلك واضح في كلمات الاستاذ فتحي رضوان ، والس في ذاته شيء ذميم فما بالك اذا كان ولا وجه له ؟ يمس الاستاذ فتحي بانه لم يهدر كل ما فعل العقاد ، وكأنه ابقى شيئاً لم يهدره ، فماذا قال وقد شرع في انصافه ، قال كلاماً لا يختلف فيه انسان محصله ان العقاد واسع الاطلاع ، نشيط ، ذو خطر . . اهذا كل ما في الامر ؟ هذا انصاف خير منه الاجحاف . لقد كان افضل واكرم للاستاذ فتحي ان يدع هذه « الموضوعية » الساذجة التي لن تنفي عنه التحامل ، الموضوعية التي لم يطقها بضعة اسطر فرجع الى ما كان فيه من ازرأ على الرجل وهو في مرض تقديره . اهذا هو الانصاف الجدير بالشكر والتقدير ؟

قال تعالى « يمنون عليك ان اسلموا ، قل لا تمنوا علي اسلامكم ، بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين » .
صدق الله العظيم ، ورحم الله العقاد .

الحسيني حسن عبد الله

القاهرة